الخطبة الأولى : إنَّها أُمُّك

الحمدُ للهِ الذي شَهِدتْ بوجودِهِ آياتُهُ البَاهرةُ، ودَلَّتْ على كَرمِ جُودِهِ نِعَمُهُ البَاطنةُ والظَّاهرةُ، وأَشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وَحدَه لاشَريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحَمدُ وهو عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ، وأَشهدُ أَنَّ مُحمداً عَبدُاللهِ ورَسولُه، إمامُ الأتقياءِ، وسَيدُ الأصفياءِ، وخَيرُ من مَشى تَحتَ أَديمِ السَّماءِ، صَلَّى اللـهُ عَليهِ وعَلى آلِهِ وأَصحابِه أَجمعينَ، أما بعدُ: فأُوصيكم ونَفسي بتقوى اللهِ تَعالى وطَاعتِه، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)

عباد الله: سارَ رجلٌ يَقْطَعُ الْفَيَافِيَ وَالْقِفَارَ، قَدِ اغْبَرَّ وَجْهُهُ، وَشَعِثَ شَعَرُهُ، وَتَتَابَعَتْ أَنْفَاسُهُ، وَبَلَغَ بِهِ الْـجَهْدُ مَبْلَغَهُ.

إِذَا سَارَ مَفَازَةً وَقَفَ وأنزلَ الْحِمْلَ عَنْ ظَهْرِهِ، وَجَعَلَ يَلْتَقِطُ أَنْفَاسَهُ مَلِيًّا، حَتَّى إِذَا مَا اسْتَرَدَّ إِلَيْهِ نَفَسَهُ، وَهَدَأَتْ نَفْسُهُ؛ حَمَلَ حِمْلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَسَارَ مُيَمِّمًا بَيْتَ اللَّـهِ الْـحَرَامَ ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا وَهُوَ يَقُولُ:

إِنِّي لَـهَا مَطِيَّـةٌ لا تَذْعَرُ
إِذَا الرِّكَابُ نَفَرَتْ لَا تَنْفِرُ
مَا حَمَلَتْ وَأَرْضَعَتْنِي أَكْثَرُ
اللَّـهُ رَبِّي ذُو الْـجَلَالِ الْأَكْبَرُ

وَبَيْنَمَا هُوَ يَطُوفُ بهذا الحمل على ظهره؛ إِذْ رَأَى الصَّحَابِيَّ الْـجَلِيلَ عَبْدَاللَّـهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: "أَتُرَانِي جَازَيْتُهَا؟!" قَالَ: "لَا، وَلَا زَفْرَةً وَاحِدَةً!".

لقد كَانَ هَذَا الْـمَحْمُولُ هِيَ أُمَّهُ الَّتِي رَبَّتْهُ فَأَحْسَنَتْ تَرْبِيَتَهُ، حَتَّى غَدَا رَجُلًا، بَلَغَ مِنْ بِرِّهِ مَا تَرَى! وَقَلِيلٌ مَا هُمْ!!

عباد الله: الأمُّ عَتَادُ الْبَيْتِ، وَمَصْدَرُ الْأُنْسِ، وَأَسَاسُ الْـهَنَاءِ، قَسِيمَةُ الْـحَيَاةِ، وَمَوْطِنُ الشَّكْوَى، يَطِيبُ الْـحَدِيثُ بِذِكْرَاهَا، وَيَرْقُصُ الْقَلْبُ طَرَبًا بِلُقْيَاهَا، فَنِعْمَ الْـجَلِيسُ الأمُّ، وَخَيْرُ الْأَنِيسِ وَالنَّدِيمِ الأمُّ .

الأمُّ لَطِيفَةُ الْـمَعْشَرِ، طَيِّبَةُ الْـمَخْبَرِ، تُعْطِي بِسَخَاءٍ، وَلَا تَمَلُّ الْعَطَاءَ، حَنَانُهَا فَيْضٌ لَا يَنْضُبُ، وَنَبْعُهَا زُلَالٌ لَا ينفدُ.

الأمُّ لَا تُوَفِّيهَا الْكَلِمَاتُ، وَلَا تَرْفَعُهَا الْعِبَارَاتُ، وَإِنَّمَا مَحَلُّهَا سُوَيْدَاءُ الْقَلْبِ، وَكَفَى بِهِ مُسْتَقَرًّا .

لِأُمِّكَ حَقٌّ لَوْ عَلِمْتَ كَثِيرُ

كَثِيرُكَ يَا هَذَا لَدَيْهِ يَسِيرُ

يَا عَبْدَ اللَّـهِ: تَأَمَّلْ مَعِي عِظَمَ قَدْرِ الْأُمِّ، وَجَمِيلَ إِحْسَانِهَا إِلَيْكَ:

حَمَلَتْكَ فِي أَحْشَائِهَا تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، ذَاقَتْ فِيهَا الْـمُرَّ، وَتَغَيَّرَتْ عَلَيْهَا دُنْيَاهَا،

فَمَا الْـمَذَاقُ هُوَ الْـمَذَاقُ، وَلَا الْـمُعَاشَرَةُ هِيَ الْـمُعَاشَرَةُ! فَكَمْ مِنْ أَنَّةٍ خَالَجَتْهَا! وَزَفْرَةٍ دَافَعَتْهَا مِنْ ثِقَلِكَ بَيْنَ جَنْبَيْهَا! لَا يَزْدَادُ جِسْمُكَ نُمُوًّا إِلَّا وَتَزْدَادُ مَعَهُ ضَعْفًا!!

تُسَرُّ إِذَا أَحَسَّتْ بِحَرَكَتِكَ دَاخِلَ جَوْفِهَا، وَلَا يَزِيدُهَا تَعَاقُبُ الْأَيَّامِ وَكَرُّ اللَّيَالِي إِلَّا شَوْقًا لِرُؤْيَتِكَ وَاشْتِيَاقًا لِطَلَّتِكَ!

ثُمَّ تَأْتِي سَاعَةُ خُرُوجِكَ؛ فَتُعَانِي مَا تُعَانِي مِنْ خُرُوجِكَ!! فَلَا تَسَلْ عَنْ طَلْقِهَا الَّذِي يُعْتَصَرُ لَهُ الْفُؤَادُ، وَآلَامِهَا الَّتِي تُعْجِزُهَا عَنِ الْبُكَاءِ! حَتَّى إِذَا مَا خَرَجْتَ مِنْ أَحْشَائِهَا، وَشَمَّتْ عَبَقَ رَائِحَتِكَ؛ نَسِيَتْ آلَامَهَا، وَتَنَاسَتْ أَوْجَاعَهَا، وَعَلَّقَتْ فِيكَ جَمِيعَ آمَالِهَا، فَكُنْتَ أَنْتَ الْـمَخْدُومَ فِي لَيْلِهَا وَنَهَارِهَا، كُنْتَ أَنْتَ رَهِينَ قَلْبِهَا، وَنَدِيمَ فِكْرِهَا، تُغَذِّيكَ بِصِحَّتِهَا، وَتُدَثِّرُكَ بِحَنَانِهَا، وَتُمِيطُ عَنْكَ الْأَذَى بِيَمِينِهَا، تَخَافُ عَلَيْكَ مِنَ اللَّمْسَةِ، وَتُشْفِقُ عَلَيْكَ مِنَ الْـهَمْسَةِ.

إِذَا صَرَخْتَ فَزَّ قَلْبُهَا إِلَيْكَ، وَإِذَا جُعْتَ تَلَهَّفَتْ مِنْ أَجْلِ سَدِّ جَوْعَتِكَ، سُرُورُهَا أَنْ تَرَى ابْتِسَامَتَكَ، رَاحَتُهَا أَنْ تَضُمَّكَ إِلَى صَدْرِهَا، إِذَا مَسَّكَ ضُرٌّ لَمْ يَرْقَأْ لَهَا دَمْعٌ، وَلَمْ تَكْتَحِلْ بِنَوْمٍ، تَفْدِيكَ بِرُوحِهَا وَعَافِيَتِهَا!!

فَكَمْ لَيْلَةٍ سَهَرَتْهَا مِنْ أَجْلِ رَاحَتِكَ!

وَكَمْ دَمعَاتٍ رَقْرَقَتْهَا مِنْ أَجْلِ صِحَّتِكَ! وَتُحِيطُكَ بِعِنَايَتِهَا.

وَلِسَانُ حَالِهَا: أَوَامِرُكَ مُطَاعَةٌ، وَطَلَبَاتُكَ مُجَابَةٌ، تَغْتَمُّ

فَنَمْ وَلَدِي بِمَهْدِكَ فِي هَنَاءٍ لِحُزْنِكَ، وَتَضِيقُ لِغَضَبِكَ، تَشْقَى لَكَ أَنْتَ،

وَدَاعِبْ طَيْفَ أَحْلَامِ الرُّقَادِ تَسْعَدُ وَتَتْعَبُ حَتَّى تَهْنَأَ أَنْتَ!

وَإِنْ حَلَّ الظَّلَامُ بِجَانِحَيْهِ فَكَمْ مِنْ دُمُوعٍ عَنْكَ أَزَالَتْهَا! وَهُمُومٍ عَنْ

وَأَرْخَى ظِلَّهُ فِي كُلِّ وَادِ صَدْرِكَ أَزَاحَتْهَا! حَتَّى إِذَا صَلُبَ عُودُكَ،

وَنَامَ الْخَلْقُ فِي أَمْنٍ جَمِيعًا وَزَهَرَ شَبَابُكَ، كُنْتَ أَنْتَ عُنْوَانَ فَخْرِهَا،

فَقَلْبِي سَاهِرٌ عِنْدَ الْمِهَادِ وَرَمْزَ مُبَاهَاتِهَا، تُسَرُّ بِسَمَاعِ أَخْبَارِكَ،

وَيَا لَيْتَ عَنَاءَهَا يَنْتَهِي عِنْدَ هَذَا؛ بَلْ مَا وَتَسْعَدُ بِرُؤْيَةِ آثَارِكَ، إِذَا غِبْتَ عَنْ عَيْنِهَا

تَزِيدُهَا الْأَيَّامُ لَكَ إِلَّا حُبًّا، وَعَلَيْكَ حِرْصًا؛ فَمَا رَافَقَتْكَ دَعَوَاتُهَا.

أَنْ يَتِمَّ فِصَالُكَ عَامَيْنِ، وَتَبْدَأَ خُطُوَاتُكَ فَكَمْ مِنْ دَعَوَاتٍ لَكَ تَلَجْلَجَتْ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي!

الصَّغِيرَةُ بِالثَّبَاتِ، إِلَّا وَتَرْمُقُكَ بِنَظَرَاتِهَا،

وَكَمْ مِنِ ابْتِهَالَاتٍ سَالَتْ مَعَهَا الدُّمُوعُ عَلَى الْـمَآقِي مِنْ أَجْلِكَ وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ! مُنَاهَا أَنْ يُرَفْرِفَ السُّرُورُ فِي سَمَائِكَ، غَايَتُهَا أَنْ تُوَفَّقَ فِي حَيَاتِكَ وَبِنَاءِ أُسْرَتِكَ.

تُعْطِيكَ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا تَطْلُبُ مِنْكَ أَجْرًا، وَتَبْذُلُ لَكَ كُلَّ وُسْعِهَا وَلَا تَنْتَظِرُ مِنْكَ شُكْرًا! أَحْسَنَتْ إِلَيْكَ إِحْسَانًا لَا تَرَاهُ، وَقَدَّمَتْ إِلَيْكَ مَعْرُوفًا لَنْ تُجَازَاهُ.

أَطِعِ الْإِلَهَ كَمَا أَمَرْ
وَامْلَأْ فُؤَادَكَ بِالْحَذَرْ
وَأَطِعْ أَبَاكَ فَإِنَّهُ
رَبَّاكَ فِي عَهْدِ الصِّغَرْ
وَاخْضَعْ لِأُمِّكَ وَارْضِهَا
فَعُقُوقُهَا إِحْدَى الْكُبَرْ

الْبِرُّ بِالْأُمِّ -عِبَادَ اللَّـهِ- مَفْخَرَةُ الرِّجَالِ، وَشِيمَةُ الشُّرَفَاءِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ كُلِّهِ: هُوَ خُلُقٌ مِنْ خُلُقِ الْأَنْبِيَاءِ؛ قَالَ تَعَالَى عَنْ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا) وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) .

الْبِرُّ بِالْأُمِّ -إِخْوَةَ الْإِيمَانِ- بُرْهَانٌ عَلَى صِدْقِ الْإِيمَانِ، وَحُسْنِ الْإِسْلَامِ، وَعَمَلٌ بِالتَّقْوَى.

الْبِرُّ بِالْأُمِّ يَتَأَكَّدُ يَوْمَ يَتَأَكَّدُ إِذَا تَقَضَّى شَبَابُهَا، وَعَلَا مَشِيبُهَا، وَرَقَّ عَظْمُهَا، وَاحْدَوْدَبَ

ظَهْرُهَا، وَارْتَعَشَتْ أَطْرَافُهَا، وَزَارَتْهَا أَسْقَامُهَا، فِي هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الْعُمُرِ لَا تَنْتَظِرُ صَاحِبَةُ الْـمَعْرُوفِ وَالْجَمِيلِ مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا قَلْبًا رَحِيمًا، وَلِسَانًا رَقِيقًا، وَيَدًا حَانِيَةً.

فَطُوبَى لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَى أُمِّهِ فِي كِبَرِهَا! طُوبَى لِمَنْ شَمَّرَ عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ فِي رِضَاهَا؛ فَلَمْ تَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَهِيَ عَنْهُ رَاضِيَةٌ مَرْضِيَّةٌ.

فيَا مَنْ تُرِيدُ رِضَا رَبِّ الْبَرِيَّاتِ، وَتَطْلُبُ جَنَّةً عَرْضُهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ: دُونَكَ مَفَاتِيحَهَا؛ بِإِحْسَانِكَ لِأُمِّكَ وَرِضَاهَا عَنْكَ.

جاءَ رَجُلٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ يَحْدُوهُ شَوْقُهُ إِلَى جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ، وَتَتَعَالَى هِمَّتُهُ لِاسْتِرْضَاءِ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ؛ فَيَمْشِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ: ائْذَنْ لِي بِالْجِهَادِ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟! قَالَ: نَعَمْ؛ فَقَالَ: "الْزَمْ رِجْلَهَا؛ فَثَمَّ الْـجَنَّةُ". ابن ماجهْ .

يَا مَنْ تُرِيدُ مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ وَسَتْرَ الْعُيُوبِ دونَّك ما تسمع! فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال ﷺ (نمتُ فَرأيتَني في الجَنَّةِ، فَسمعتُ صَوتَ قَارِئٍ، فَقلتُ: من هَذا؟)، فقَالوا: حَارثةَ بنَ النعمانِ، فقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: (كَذلكَ البِرُّ، كَذلكَ البِرُّ، وَكانَ أَبرَّ النَّاسِ بأمِّهِ). أحمد وغيره . وكَانَ حَارثةُ رَضيَ اللهُ

عَنهُ يُفلي رَأسَ أُمِّهِ، ويُطعمُها بيدِه، وَلَمْ يَسْتَفْهِمْهَا كَلَامًا قَطُّ تَأْمُرُ بِهِ حَتَّى يَسْأَلَ مَنْ عِنْدَهَا بَعْدَ أَنْ يَخْرُجَ : مَا أَرَادَتْ أُمِّي

الأُمُّ رَيحَانَةُ الدُّنيا وبَهجتُها

هَيهَاتَ أَلقَى كَقَلبِ الأُمِّ هَيهَاتَا

يامن تريدُ أن تُفْتَحَ لكَ أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَتُجَابُ لكَ الدَّعَوَاتِ، كنْ باراً بأمِّكَ حَانِيًا عَلَيْهَا، مُحْسِنًا إِلَيْهَا.

فلقد أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ أَنَّهُ كَانَ مُجَابَ الدَّعَاءِ، وَكَانَ مِنْ أَبَرِّ النَّاسِ بِوَالِدَتِهِ ، وكان به برصٌ فبرئَ بِبرِّه بأمِّه .

ألا فاتقوا الله عباد الله وليتأمل كلٌ منَّا في بره بوالديه أحياءً كانوا أو أمواتاً (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) . بارك الله ...

الخطبة الثانية:

الحمد لله ...أما بعد:

عباد الله: عِندَما تكونُ الأمُّ في دارِ العَجَزةِ حَبيسةُ الآلامِ، أو عِندما تكونُ وَحيدةً في بيتٍ لا يُسمعُ فيه وَقعُ الأقدامِ، أو عِندما ينشغلُ عنها الأبناءُ والبَناتُ طِوالَ العامِ، أو عِندَما لا ترى إلا في الكِلابِ والقِططِ الوفاءَ والاحترامَ، فَحِينَها يَحقُّ لنا أن نضعَ للأمِّ عِيداً حتى لا نَنساها يوماً من الأيامِ.

وفي هذا الشهرِ يُحتفلُ بعضُ المسلمينَ بعيدِ الأمِّ، فهل أصبحنا نحتاجُ إلى يومٍ نتَذكَّرُ فيهِ الأمَّهاتِ؟،

فأينَ الاهتمامُ والرِّعايةُ في كلِّ الأيامِ والأوقاتِ؟ وأينَ الإحسانُ والوَصيةُ بِبرِّ الوالدينِ؟ أم أنَّها التَّبعيةُ والتَّقليدُ الأعمى؟ وجَمالُ حَضارةِ الغَربِ الأَعلى؟ فَعَجباً لأمَّةٍ أخرجَها اللـهُ تعالى لهِدايةِ الأنامِ، تَستوردُ ما أنتجتْهُ ثَقافةُ العُقوقِ والإجرامِ، بَدلَ أن تُصدّرَ مكانةَ الأمِّ وحقَّها في الإسلامِ.

فعُذراً لكلِّ أمٍّ في عِيدِ الأمِّ، فأنتِ أيَّتُها الحَنونُ لستِ يوماً من الأيامِ، بل أنتِ طاعةً وعبادةً على الدَّوامِ، فلَكِ مِنَّا في الحياةِ البِرُ والإحسانُ،

ولَكِ مِنَّا بعدَ المماتِ الدُّعاءُ بالغُفرانِ،

مَعَ الاعترافِ بالتَّقصيرِ في الحُبِّ والعِرفانِ.

أَحِنُّ إلى الكَأسِ التي شَرِبَتْ بِهَا *** وَأَهوى

لمَثوَاها التُّرابَ ومَا ضَمَّا

أيها الْـمُقَصِّرَ مَعَ أُمِّهِ: تَذَكَّرْ لَيْلَةً تُصْبِحُهَا بِلَا أُمٍّ مُشْفِقَةٍ، لَكَ دَاعِيَةٌ، وَعَنْكَ سَائِلَةٌ، تَذَكَّرْ يَوْمًا تَحْثُو فِيهِ التُّرَابَ عَلَى صَاحِبَةِ الْقَلْبِ الرَّهِيفِ وَالْجِسْمِ الضَّعِيفِ، تَذَكَّرْ سَاعَةً تَدْخُلُ فِيهَا الْمَنْزِلَ، فَلَا تَسْمَعُ صَوْتَهَا، وَلَا تُبْصِرُ رَسْمَهَا!!

فَاسْتَغْفِرْ رَبَّكَ أَخِي الْـمُقَصِّرَ، وَعَاهِدْ نَفْسَكَ مِنْ هَذَا الْـمَكَانِ عَلَى اسْتِدْرَاكِ مَا فَاتَ بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ فِيمَا هُوَ آتٍ،

فَهَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ!

اللهمَّ يا ذا الأسماءِ الحُسنى والصِّفاتِ العُلى، اغفرْ لآبائِنا وأمَّهاتِنا، جازِهم بالإحسانِ إحسانًا، وبالسيِّئاتِ عَفوًا وغُفرانًا، اللهمَّ يا حيُّ يا قَيومُ، ارزقنا برَّ والدِينا أحياءً وأمواتًا، واجعلْنا لهم قُرَّةَ أعينٍ ...ثم صلوا ...